Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

داخل المنفى على غاية من الظلم والسحق، وعلى غاية من البعد عما هو إنساني، فالمعتقل غابة فيها وحوش كثيرة وحقيقية؛ وحوش لاهم لها سوى مضايفة ماهو مرعب وحزين، لكن المفارقة أن نفراً من البشر المظلومين يعيشون وسط هذا الخراب الإنساني، ووسط هذه القسوة الوحشية.

حين حرر من المعتقل، وانقضت سنوات منفاه، وبعد السماح له بنشر أعماله، طلع دوستويفسكي على الناس بكتابه (ذكريات من منزل الموتى) الذي هزّ روسيا بأكملها شعباً، ومسؤولين، وأدباء، وقراء.. ذلك لأنه كاشف فيه الجميع بالمستبطن الموحش الذي يعيشه المعتقلون في سجنون سيبيريا ومنافيها؛ هؤلاء الذين تحولوا إلى أشباه بشر، وقد ازدادت وحشية اللصوص والمجرمين رعباً، كما كاشفت الناس بالرهافات الموجودة عند بعض السجناء الذين صاروا في غربة مركبة لاسبيل إلى اختراقها أو النفاذ منها بسبب قلة الحيلة وصعوبة الظروف.

في الكتاب، انطباعات، ورؤى، ومشهديات، وخوف دوستويفسكي من المكان، ونفوره من الحال العدوانية السائدة بين المعتقلين وقد انقسموا إلى قسمين، في القسم الأول: سادة المعتقل، وهم اللصوص والمجرمون، وفي القسم الثاني: البسطاء الذين قذف بهم إلى هنا ظلماً وعدواناً، وسلالم العلاقة الرابطة مابين القسمين إذ يتعرض البسطاء إلى ظلم مضاعف من قبل المعتقلين اللصوص والمجرمين والسجان في آن معاً. وكل ماجاء في الكتاب هو عبارة عن النتائج المباشرة للتجربة الشخصية التي عاشها دوستويفسكي في المعتقل، وهي يومياته الشخصية عن الأحداث، والحوارات، والمرئيات، وأشكال التعذيب، وصور الفقد: فقد الحرية، والحركة والتعبير، والحياة الاجتماعية، والروح الإنسانية المشتركة، وأوصاف الحالات والأشكال، وتصوير الذوات والنفوس من داخلها، وبيان أحوال الرعب والقلق والخوف والانتظار، ودروب المعتقل وممراته، والأعمال الشاقة المفروضة على الناس، والأغلال والقيود التي تدمي الأقدام، وحجوم الحجارة وقسوتها، وظلم الطبيعة ببردها العجيب، والبكاء الخافت والعالي في الليل والنهار، والانطفاء رويداً رويداً..الخ، ولكن دوستويفسكي، وعلى الرغم من حضور أطياف روحه في المذكرات جميعاً جعلها منسوبة إلى المعتقل الكسندر جوريانتشيكوف، غير أن هذا الاسم لم يكن يعني بالنسبة للقراء إلا اسم دوستويفسكي نفسه.

يتألف كتاب (ذكريات من منزل الموتى) من مقدمة يشير فيها دوستويفسكي